

الامامة والسياسة

[167] فلما جاءه الرسول قال: أجب أمير المؤمنين، فحسب يزيد أنما دعاه إلى تلك الامور التي يفرع إليه منها، ويستعين برأيه عليها، فأقبل حتى دخل عليه، فسلم ثم جلس. فقال معاوية: يا يزيد ما الذي أضعنا من أمرك، وتركنا من الحيلة عليك، وحسن النظر لك، حيث قلت ما قلت، ؟ وقد تعرف رحمتي بك، ونظري في الاشياء التي تصلحك، قبل أن تخطر على وهمك، فكنت أظنك على تلك النعماء شاكرا، فأصبحت بها كافرا، إذ فرط من قولك ما ألزمتني فيه إضاعتي إياك، وأوجبت علي منه التقصير، لم يزرعك عن ذلك تخوف سخطي، ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي، ولم يردعك عنه حق أبوتي، فأني ولد أعق منك وأكيد، وقد علمت أني تخطأت الناس كلهم في تقديمك، ونزلتهم لتولييتي إياك، ونصبتك إماما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم من عرفت، وحاولت منهم ما علمت ؟ قال: فتكلم يزيد، وقد خنقه من شدة الحياء الشرق، وأخضله (1) من أليم الوجد العرق. قال: لا تلزميني كفر نعمتك، ولا تنزل بي عقابك، وقد عرفت نعمة مواسلتك ببرك، وخطوى إلى كل ما يسرك، في سرى وجهى فليسكن سخطك، فإن الذي أرثى له من أعباء حملة وثقله، أكثر مما أرثى لنفسى، من أليم ما بها وشدته، وسوف أنبئك وأعلمك أمري. كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه، نظرا في خيار الامور لي، وحرصا على سياقها إلى، وأفضل ما عسيت أستعدله بعد إسلامي المرأة الصالحة، وقد كان ما تحدث به من فضل جمال أرينب بنت إسحاق وكمال أدبها ما قد سطع وشاع في الناس، فوقع مني بموقع الهوى فيها، والرغبة في نكاحها، فرجوت ألا تدع حسن النظر لي في أمرها، فتركت ذلك حتى استنكحها بعلمها، فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدري، حتى عيل صبري، فبحت بسرى، فكان مما ذكرت تقصيرك في أمري، فإني يجزيك أفضل من سؤالي وذكرى. فقال له معاوية: مهلا يا يزيد، فقال: علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل ؟ فقال له معاوية: فأين حباك ومروءتك وتفاك ؟ فقال يزيد: قد يغلب الهوى على الصبر والحجاء، ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى يتقاه، أو يدفع ما أقصده (2) بحجاءه، لكان أولى الناس بالصبر داود عليه السلام، وقد خبرك القرآن بأمره. فقال معاوية: فما منعك قبل الفوت من ذكره ؟ قال ما كنت أعرفه، وأثق به من جميل نظرك، قال: صدقت، ولكن اكنتم يا بني أمرك بحملك. واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك، فإن البوح به غير نافعك، والله بالغ أمره، ولا بد مما هو كائن. _____ (1) أخضله: بـ. (2) أقصده: ضره. (*)